التعدّديّة اللّغوية في كتابات أحلام مستغانمي
" رواية الأسود يليق بك أنموذجا "

الدكتورة: ربيحة عداد
rabha1983@hotmail.com
جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف (الجزائر)

الملخص:

تعدّدت مظاهر كتابة النص الروائي بعدما كانت أحادية اللغة، إذ أصبح روائي العصر الحديث يكتب نصه بلغات متداخلة، حيث نجد في النص الواحد اللغة العربية واللغات الأجنبية الأخرى كالفرنسية والإنجليزية، كما نجد إلى جانب ذلك بعض اللهجات العربية المختلفة، والرّواية تشكيل سردي إبداعي، تنطوي على التداخل اللغوي مثل تداخلها الأجناسي، وهنا يتقصد الروائي في استعماله هذه الاستراتيجيات لهدف دلالي وآخر تشكيلي جمالي.

ومن خلال اطّلاعنا على مختلف الخطابات السّردية والرّوائية والجزائرية على وجه الخصوص، وجدناها تتشكل من أبنية لغوية، وهذه الأخيرة- اللّغة- لها وظيفة فنية وإبداعية تتمثل في تشييد خصوصية النص الأدبي، فهل يعاب على هذا المظهر التجديدي أم يستحسن أن تكون الرّواية خطابا متعدّدا ومزيجا من اللّغات واللّهجات التي تتفاعل ضمن منظور اجتماعي؟

ولتقصّي ذلك سنسعى لدراسة في كتابات الرّوائية الجزائرية أحلام مستغانمي التي خاضت غمار هذه التّجربة،والتي نعنونها بـ" **التعدّديّة اللّغوية في كتابات أحلام مستغانمي" رواية الأسود يليق بك أنموذجا".**

وللإلمام بالموضوع نحاول إيراد:

- ماهية التّعدد اللّغوي.
- الرّواية الجزائرية.
- تمظهرات التعدّد اللّغوي في رواية الأسود يليق بك.

الكلمات المفتاحية: الرّواية الجزائرية، التعدّد اللّغوي(ازدواجية اللّغة)، أحلام مستغانمي، رواية الأسود يليق بك.

تُكسِب اللّغة الرّواية تمظهرها المجرّد ومادتها المدركة، وقد أصبحت الرّواية الجزائرية تكتب بلغات متعدّدة أو مزدوجة، هذه القضية – التعدّد اللّغوي- مركزية في الاهتمامات الحالية للباحثين، إذ تعمل اللغة على تشكل المجتمع وتماسكه، باعتبارها ظاهرة سيكولوجية اجتماعية، ثقافية مكتسبة، لا صفة بيولوجية ملازمة للفرد تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية، وعن طريق هذا النظام الرمزي الصوتي تستطيع جماعة ما أن تتواصل وتتفاعل لكن يبقى الإشكال المطروح كيف يكون هذا التواصل؟ أي أسلوب يعتمد لتحقيق هذا النتاج؟ ومدى تماشيه مع عصر ثورة المعلومات.

تحظى اللغة بالتعدّد أو بالأحرى لها أنواع نذكر منها الفصحى والعامية وتندرج تحتها اللغة العربية واللغات الأجنبية واللهجات، كما أنها تعد أحد المقومات الثقافية المكتسبة، فإنها تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية تكتسب عن طريق اختيار معاني مقررة في الذهن يستدعيها سياق ما، إذ عبّر عنها تمام حسان بأنها" سلاح من أقوى الأسلحة نفسيا، واجتماعيا، وسياسيا، واقتصاديا، وأدبيا، للسيطرة على الأفكار"[1]، ونحن

هنا في دراستنا هذه سنتطرق للحديث عن ذلك التزاوج أو التداخل بين هذه اللغات، ومايعرف أيضا بالتعدد اللغوي والثنائية اللغوية، ولكن لكل مصطلح مفهومه الخاص، وما يهمنا في هذه الورقة البحثية تداخل اللغة العربية مع اللغات الأخرى وحتى اللهجات، وذلك ما نستجليه من خلال الغوص في إبداعات الرّوائية أحلام مستغانمي وعلى سبيل الدراسة لا الحصر رواية" الأسود يليق بك".

- **التعدّد اللّغوي:**

يصطلح عليه بالأجنبية Plurilinguisme وهو:" عندما تجتمع أكثر من لغة في مجتمع واحد، أو عند فرد واحد ليستخدمها في مختلف أنواع التواصل، والمثال المشهور هو دولة سويسرا حيث الفرنسية والإيطالية والألمانية هي لغات رسمية بها"[2]، فالدولة متعددة اللغات هي التي يتكلم أهلها على الأقل لغتين ويتعاملون بهما، نحو سويسرا أو كندا حيث يتكلم جزء من سكانها الفرنسية، والأغلب منهم اللغة الانجليزية، وقد نجد هذا التعدد في اللغة الواحدة بين الفصحى وعاميتها.

ونجد الباحث المغربي" محمد الأوراغي" قد أشار إلى تعريف التعدّد اللّغوي أيضا في قوله :" التعدّد اللّغوي المقابل العربي للفظ الأجنبي Multilinguisme، وهو يصدق على الوضعية اللسانية المتميزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد، إما على سبيل التساوي إذا كانت جميعها لغات عالمية كالألمانية والفرنسية والإيطالية، في الجمهورية الفدرالية السويسرية، وإما على سبيل التفاضل إذا وجدت لغات عالمية كالعربية بجانب لغات عامية مثل الهوسا والغورمانشه والسوناي زارما والتماشيق والفولفولدة والتوبو في جمهورية النيجر"[3].

كما نجد صالح بلعيد يقول في ذلك :"إن التعدد اللغوي هو مجموعة من اللغات المتقاربة أو المتباينة في مجتمع واحد"[4]، والتعدد اللغوي ليس بعيب في الدرس اللغوي وقد أكد عليه الاسلام في قوله تعالى:" وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ السّمَاوَات والأَرْض وَاخْتِلَاف أَلْسِنَتكُم وَأَلْوَانِكُم إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَات لِلْعَالَمِينَ"[5]، وبذلك يكون التعدد اللغوي ذا أهمية كبيرة في الحياة العلمية للمتعلم، فهو من أهم العوامل التي تؤدي إلى تنوع المعارف من خلال الثقافة والفكر والتطور العلمي والاجتماعي والديني والسياسي، وبذلك تسهل عملية التواصل بين الأفراد داخل المجتمع وإن اختلت أجناسهم .

ومن إيجابيات التعدد اللغوي مواجهة الشعوب المختلفة ويتضح ذلك من خلال مقولة العرب (مَنْ تَعَلَّمَ لُغَةَ قَوْمٍ أَمِنَ شَرَّهُمْ)، كما أنه يساعد على النمو العقلي للفرد وبالتالي النمو اللغوي له حتى تصبح له كفاءة لغوية عالية يفخر بها، وسنسعى لتوضيح ذلك من خلال أشكاله- التعدد اللغوي- عموما بإسقاطات على الرواية الجزائرية المعاصرة.

2.أشكال التعدد اللغوي:

1.2. الثنائية اللغوية: Bilinguisme :

اختلفت آراء اللغويين حول مفهوم ظاهرة الثنائية اللغوية وتباينت، فقد عرّفها " بلومفيد" بأنها :" إجادة الفرد التامة للغتين"[6]، أما محمد علي الخولي فعرفها بدقة وشمولية في قوله :" الثنائية اللغوية هي استعمال الفرد أو الجماعة للغتين بأي درجة من الإتقان، ولأية مهارة من مهارات اللغة، ولأي هدف

من الأهداف"[7]، وفي تعريف آخر يقول:"ونعني بالثنائية اللغوية في الوطن العربي أن يتكلم الناس في البلد لغتين، الأولى عربية التي تستخدم في المجالات الرسمية كالحياة والتعليم والإعلام والبرلمان وكتابة القوانين، والثانية لغة محلية (غير عربية) تستخدمها مجموعة من المواطنين للتواصل فيما بينهم، بينما تستخدم اللغة السائدة للتواصل مع الآخرين" [8]، ونجد محمد حسن عبد العزيز أيضا أورد في كتاباته تعريف للثنائية اللغوية فقال :" استخدام الفرد أو جماعة لغتين كما هي الحال في البلدان الإفريقية التي استعمرتها فرنسا، حيث يستخدمون الفرنسية بالإضافة إلى لغاتهم المحلية"[9]، ويعود السبب الرئيسي لهذه الظاهرة إلى الغزو الثقافي والاستعمار، وبالتالي يبقى الصراع بين اللغتين قائما في تلك البلد المستعمرة، وذلك مثلما حدث في الجزائر من خلال سياسة الاستعمار التعليمية حيث أجبر التعليم الفرنسي الرسمي على الأهالي الجزائرية، في حين الشعب الجزائري المتعلم لم يقتصرعلى تلك اللغة وإنما تعلموا لغتهم الأم في الكتاتيب والزوايا والمساجد التي كانت تركز في محتواها الدراسي على تحفيظ القرآن الكريم وأصول الفقه والنحو والصرف آنذاك.

2.2. الازدواجية اللغوية : Diglossia .

إن أول من تطرق لهذا المصطلح العالم الفرنسي" وليم مارسيه" حيث عرفه في مقالة كتبها عام 1930 بقوله :" هي التنافس بين لغة مكتوبة ولغة عامية شائعة "[10]، كما عرفه اللغوي شارل فرجيسون Charles ferguson بأنه:" كل مجتمع يستعمل لغتين في المعاملات الداخلية اليومية، ولا يستطيع الاستغناء عن إحدى اللغتين ولو لفترة انتقالية " أي: تنافس لنوعين من اللغة للسان فردي واحد، وعرفه أيضا في قوله : "حالة لغوية ثابتة نسبيا يوجد فيها فضلا عن اللهجات الأساسية – التي ربما تضم نمطا محدّدا، أو أنماطا باختلاف الأقاليم – نمط آخر في اللغة مختلف عالي التصنيف، فوقي المكانة "[11]، ويعرفها ميشال زكريا في قوله : " هي الحالة اللغوية التي يستخدم فيها المتكلمون بالتناوب حسب البيئة والظروف اللغوية لغتين مختلفتين ، فهي الوضع اللغوي لشخص ما أو لجماعة بشرية معينة تتقن لغتين، وذلك من دون أن تكون لدى أفرادها قدرة كلامية مميزة في لغة أكثر مما في اللغة الأخرى" [12]، ويرجع السبب في هذا التنوع إلى تطور اللغة وتطور مستوياتها التي تتمثل في المستوى الصوتي إذ نجد أحيانا انحراف بعص الأصوات عن مخارجها، أما في المستوى الصرفي فتحدث في الإشتقاق والتصغير في بعض لهجات العرب كجمع بعض الألفاظ مثلا يختلف عن الجمع في اللغة الفصيحة، فيبدو لنا غير مسموع أو غير متداول أصلا، وفيما يخص المستوى النحوي فنجد ذلك جليا في تركيب الجمل غير المتزن وعدم احترام قواعد أو علامات الإعراب، وكذا المستوى الدلالي فتدرج بعصض الألفاظ في التركيب دون مراعاة دلالة المعاني، وإنما استصاغة لأمور نفسية واجتماعية أو غيرها، وقد "رفض بعض الباحثين استعمال مصطلح الازدواجية الذي يستخدمه الكثير من اللغويين للدلالة على شكلي اللغة العربية: الفصحى والعامية ذلك أن العامية والفصحى فصيلتان من لغة واحدة "[13]، وبيان ذلك أن الازدواجية اللغوية تكون بين اللغة الفصحى المستعملة في الإدارات والأمور الرسمية، وبين اللهجات أو العامية التي تخصص لعامة الناس(الاستعمال اليومي).

أما في الجزائر فإننا نجد الأغلبية الساحقة من المجتمع يستعملون اللغة المزدوجة، لأنها تعتبر السمة الأساسية للوضعية اللسانية بالجزائر، والتي نعني بها إتقان الفرد للغتين واستعمالهما بشكل متكافئ أو اللغة الفصيحة واللهجة.

4. عوامل ظهوره:

التعدد اللغوي ظاهرة كباقي الظواهر اللغوية كما له مرجعيات وإرهاصات فكرية له عوامل ساعدت على ظهوره نذكرها فيما يلي :

- **العامل التاريخي:** تمثل هذا العامل في دور الاحتلال الفرنسي بشتى أشكاله وأساليبه التي كانت تعمل على طمس الهوية العربية وترسيخ بدلها اللغة الفرنسية، وذلك بإجبارية تعليم وتعلم هذه الأخيرة، ومنع تدريس العربية عن طريق هدم المساجد والكتاتيب والزوايا ، وقد امتد هذا الغزو الثقافي إلى ما بعد الاستقلال، وبالتالي اضمحلت اللغة العربية داخل وطننا، واستبدلت بلغة أجنبية أخرى وهذا ما وضحه الباحث عبد الرحمان الحاج صالح في قوله:" لقد اعتبرت اللغة العربية لغة أجنبية في بلدها، ووسط أهلها طيلة (132 سنة)، فلم يكن الاستعمار تدميرا سياسيا بإزالة سيادة الشعب الجزائري على أرضه ومصيره، بل إزالة ثقافته وتجهيله وبذلك تراجع استخدام اللغة العربية لأن اللغة الفرنسية كانت اللغة الرسمية الوحيدة في الإدارة والتعليم والتسيير الإقتصادي والسياسي لا يناقشها في ذلك أي لغة "[14]. وذلك ما زاد من الصراع اللغوي في الجزائر بين اللغتين الفرنسية والعربية.

- **العامل الاجتماعي** : اللغة رابط متين لربط أفراد الجماعة اللغوية بعضها ببعض، وذلك ما يوضحه محمد فهمي حجازي في قوله :" إن وجود اللغة يشترط وجود مجتمع، وهنا يتضح الطابع الاجتماعي للغة، فليس هناك نظام لغوي يمكن أن يوجد منفصلا عن جماعة إنسانية تستخدمه وتتعامل به، فاللغة ليست هدفا في ذاتها وإنما هي وسيلة للتواصل بين أفراد الجماعة الإنسانية "[15]، ويثمن ذلك الباحث رمضان عبد التواب في قوله :" إن الظواهر الاجتماعية لها قوة قاهرة آمرة، تفرض بها على أفراد المجتمع ألوانا من السلوك والتفكير و العواطف، وتحتم عليهم أن يصبوا سلوكهم وتفكيرهم وعواطفهم في قوالب محددة مرسومة، ويدل على وجود القهر في الظواهر الاجتماعية، وأن الفرد إذا حاول الخروج على إحدى هذه الظواهر، فإنه سرعان ما يشعر برد فعل مضاد من المجتمع الذي يعيش فيه، ذلك لأن المجتمع يشرف على سلوك أفراده ويستطيع توقيع العقاب على كل من تسول له نفسه الخروج عليه، وأهون صور هذا العقاب هو التهكم الشديد أو السخرية المرة".[16]

هذا العامل من أهم المستويات التي تخدم اللغة ويظهر فيها التعدد اللغوي بشكل واضح و الأمثلة عديدة في كلامنا اليومي حيث نحدث في جملة ألفاظه بالعربية الفصحى تتخللها كلمات دارجة أو كلمات أجنبية ، وهذا الاختلاط نجده حاليا في اللغة العربيزية الكامنة في مواقع التواص الاجتماعي خاصة و لائحات الاعلانات في المقاهي أو أماكن الأكل .

- **العامل الاقتصادي:** ساهم هذا العامل في تنمية التعدد اللغوي من خلال التبادلات التجارية والصناعات المشتركة بين الأجانب إذ يقول " لويس جان كالفي " في ذلك :" تستدعي حركات التصنيع في كثير

من البلدان استعمال عمال ذوي جنسيات مختلفة تفرض لغتها بطريقة غير مباشرة أثناء المعاملة، بالإضافة إلى التجارة بين الدول فهذه الهجرة والرحلات تلعب دورا بارزا في تنامي هذا الوضع اللغوي (التعدد اللغوي)، حيث تحفل البلدان بأقليات وطوائف أجنبية حاملة ثقافات متعددة ولغات متباينة "[17]، وهذا ما فرضه التطور العلمي والتكنولوجية وعلاقته بالاقتصاد الوطني .

- **العامل النفسي :** للأسف هذا العامل تنامى بشكل كبير في ظل العصرنة والعولمة ، هذه الأخيرة التي جعلت من متحدثي اللغة العربية الفصحى في انحطاط نفسي وإحباط في نطقها ، إذ يعتبرها لغة المدرسة لا غير ، وليست لغة حضارة، على عكس متعلمي اللغات الأجنبية فهم متطورون ومتحضرون لأبعد حد ممكن ، فهو يفتخر بلغة الغير دون لغته، وذلك ما يوضحه الباحث عبد الله شريط في قوله :" بينما كنا في ظل الاحتلال نتكلم العربية في بيوتنا وحياتنا اليومية والفرنسية في الإدارة والحياة العامة لوجود الفرنسية كلغة احتلال يسيرنا بها الفرنسيون لكن حصرنا اليوم على أن هذه الوضعية لم تتغير بدلا من أن يكون الفرسيون هم الذين يفرضون علينا لغتهم أصبحنا نحن الذين نفرضها على أنفسنا وعلى أطفالنا ".[18]

5. واقع اللغة العربية في ظل التعدد اللغوي :

تسير اللغة العربية في وضع لغوي متعدد بين اللغات الأجنبية من فرنسية وانجليزية وبين الفصحى و العامية في نفس اللغة، وفي ظل هذا التعدد" لا يملك أبناء اللغة العربية العدة الكافية في فرض مركزية لغتهم لهيمنة الممارسات اللغوية الأخرى على كثير من القطاعات الحيوية الاجتماعية والمعرفية التي تتحكم فيها الوسائل التقنية والالكترونية "[19].

وهنا يبقى التعدد اللغوي ظاهرة مؤثرة في تفرد اللغة وذاتيتها وذلك ناتج عن ظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية أحيانا مقصودة وأحيانا أخرى غير مقصودة، وهذا ما سيتضح لنا في اللغة العربية الفصحى وعاميتها وبقية اللغات.

إن اللغة العربية :" من أهم الوشائج العملية التي تربط العرب والوعاء الذي تشكل فيه ثقافتهم وحضارتهم، وتعقد عليها الشعوب العربية الآمال العراض في التوحيد الفعلي بين مواقف " الأمة العربية" سياسيا واقتصاديا لاسيما في المحافل الدولية "[20]، وهذا تشخيص حقيقي وواقعي وتاريخي لها بحكم ما توفرت عليه من خصائص وميزات عن باقي اللغات، إلا أننا وجدنا بعض النفور والاهمال لها من طرف الدارسين أو ناطقيها أصلا حيث أنها ظلمت وأبيحت في عقر دارها والسبب الرئيسي في ذلك هو الولوج نحو اللسان العامي أو الدارج الذي أضحى لغة العام والخاص المثقف والأمي.

ويتضح هذا الإهمال للغة العربية من خلال فن التدريس أو التعليم لأنه طريقة تواصل وتوصيل تعليمي وكذا هو فن ايصال المعلومة للمتعلم.

1/ **اللغة الفصحى** : الفصاحة هي طلاقة اللسان ، أي الخلوص من عقدة اللسان ويؤكد ذلك ما جاء في القرآن أيضا قوله تعالى{ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ }[21].

كما أنها اللغة الرسمية في الجزائر، في حين تعتبر من أرقى المستويات اللغوية من لهجات الخطاب، مستقرة على قواعد تنظيمية، وهي لغة الإعلام ولغة النقاش السياسي، ولغة النتاج الأدبي العربي.

ب/ اللغة العامية : لها عدة تعريفات نذكر منها ما يلي :

- اللهجة المنطوقة في عصرنا الحالي المنحدرة من الفصحى المنطوقة بها في عصر الفصاحة العفوية ولهجاتها، وأصابتها تغيرات كثيرة بعد اختلاط العرب بغيرهم، كسقوط الإعراب في جميع الأحوال وغيرها، لأن لغة التخاطب اليومي في النثر عرضة للخطا بخلاف لغة التحرير، وبالتالي هي أسرع المستويات إلى التحول البنيوي من لغة الكتابة وقد احتلت مكانة الفصحى في تبليغ الأغراض اليومية وفي التعبير الاسترسالي" [22].

- ومن بين تعريفاتها أيضا :" هي الجانب المتطور للغة التي يشمل البعد عن اللغة الأم "[23].

وإذا تتبعنا مصدر ادّعاء قصور العربية عن استيعاب علوم العصر وجدناه يتصل بجهات لاتريد للعربية خيرا، إنما سعت لذلك سيرا إلى ركاب محتلّ غازٍ، أو بتعصب ديني مقيد ، إذ انطلقت هذه الدعوة إلى العامية من قبل الانجليزي ولهالم سبيتان سنة 1880، وقد عين مديرا لدار الكتب المصرية (الكتبخانة) وألف كتاب " قواعد اللغة العامية في مصر" متخذا من الاختلاف بين العامية والفصيحة سببا لدعوته ترك الفصيحة والكتابة بالعامية تيسيرا على المتعلمين"[24] .

ونجد و"بتأثير من الإنجليز أعلنت مجلة " المقتطف" دعوتها إلى العامية أيضا ودعت إلى كتابة العلوم بلغة الحديث اليومي، وتوالت جهود الإنجليز ومن يؤيدهم في هذا المجال ،فقد ألقى المهندس "ولكس" محاضرة نشرتها مجلة الأزهر 1983م، ادّعى فيها أن الذي عاق المصريين عن الاختراع هو كتابتهم بالفصحى ودعا إلى التأليف بالعامية "[25].

ومنه فإن العامية "هي التي تحتوي على تلك "الكفاءة التواصلية"، التي تشكل الميزة الأهم لكل لسان أُم بما فيه اللسان العربي، لا سيما أنّ "الكفاءة اللغوية" للسان العربي بمفردها لم (ولن) تفي بغرض الأداء الناجع، وبالتالي فإن توظيف العامية في المدرسة واجب بل حتمية علمية. لكن مع هذا فإنّ أيّ توظيف للدارجة دون توضيحٍ للصلات الموجودة بينها وبين السجل "العلوي" (الفصيحة) لن يؤدي إلا إلى الفوضى واندثار الفصيحة.

واللهجة العامية لا تُدَرَّس بل يُدَرَّس بواسطتها، والسبب في أنها لا تُدَرّس فمردّه أنها تشكّل المستوى "السفلي" من اللغة وبالتالي نخشى على متعلميها أن يستبدلوها مكان الفصيحة، وما يلفت انتباهنا أن حيوية اللسان العامي محدودة المجال بحدود كل قطر إن لم تكن بحدود كل منطقة من القطر أن يصل إلى القضايا الفكرية ولا الآداب العالمية وكل من يدعو إلى نشر العامية ونبذ الفصحى هم الحاقدون على العرب ومن يجهلون مكانتها وامكاناتها ويقول في ذلك الباحث رمضان عبد التواب:" ...وإن من يدعو إلى نبذ الفصحى، والكتابة بالعامية، لهو أحد الرجلين: أولهما: حاقد على الفصحى وكتابها الكريم ودينها الخالد، فهو يريد هدم الدين عن طريق هدم لغته، وتضييع كتابه، وهذا ضل سعيه،لأنه ممن { يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴿٣٢﴾} (التوبة،31) والآخر: رجل جاهل

بسر العربية، وما فيها من قدرة بارعة خلاقة في التعبير عن الفكر ومن جهل شيئا عاداه، كما يقولون "[26]، ونخلص في النهاية إلى أن الدعوة إلى العامية زائفة المحتوى معادية الأهداف، لكن الاستعمار نجح في غرسها في الأرض العربية، ولهذا وجب علينا التصدي والنهوض بلغة الضاد اللغة الفصيحة ونرد على التحدي.

وكعينة للدراسة أخذنا رواية " **الأسود يليق بك**" للكاتبة أحلام مستغانمي الروائية التي خاضت غمار هذه التجربة، تلك الروائية التي ذاع صيتها في العالم العربي ومثّلت الجزائرية في المحافل الدولية.

وممّا وظّفته الكاتبة في روايتها التي كانت عبارة عن فسيفساء من اللغات واللهجات نجد قولها:" كانت النساء قبل أن توجد المصارف، يخبئن ما جمعن على مدى العمر من نقود ومصاغ في الوسادة التي ينمن عليها، تحسبا لأيام العوز والشيخوخة. لكن أثرى النساء ليست التي تنام متوسدة ممتلكاتها، بل من تتوسد ذكرياتها"[27]، في هذه المقطوعة السردية نجد الروائية تمسكت باللغة الرسمية اللغة العربية الفصيحة، تلك اللغة التي يفهمها العربي سواء أكان جزائريا أم غير جزائري، والتي تعكس عروبة الكاتبة وثقافتها وغيرتها على لغة القرآن الكريم، متمسكة بالهوية العربية والأصالة الجزائرية، وهي المعيار الحقيقي للبلاغة والفصاحة.

فالمفردات العربية الفصيحة غلاف الأفكار والثقافة والحضارة التي تميز الكاتبة، ومقياسا لمعارفها لأن" التحصيل العلمي باللغة الأم يوفر الجهد ويرفع من كفاءة المتكونين ومردودهم في الميادين التي يعملون بها فيما بعد التخرج، كما أنه يضمن النشر الأفقي للمعرفة وتقبل الحقائق الثابتة في العلم الحديث بين الجمهور...فإن التعليم باللغة الأم يحقق التنمية[28]، وكل هذه الامتيازات والامكانات للغة العربية الفصيحة أضفت جمالا ورونقا على الإبداع الروائي، فهي لغة الإبداع، ونجد الكاتبة في مقام آخر تقول:" بدت كما لو أنها كانت تتكلم بحياء عن الحب، وهي تدري أن أهلها وتلاميذها ومصطفى وزوجته وكل مروانة والجزائر يتابعونها في هذه اللحظة، ولولا إحساسها بذلك لربما قالت شيئا آخر، لكنها بدت صادقة في ما قالته على استحياء. الحياء نوع من أنواع الأناقة المفقودة"[29].

عبّرت الكاتبة هنا باللغة العربية الفصحى اللغة التي يفهمها العام العربي والخاص الجزائري، بهدف إيصال وترجمة نزعة دينية إجتماعية تميز الفتاة الجزائرية والمجتمع الباتني على وجه الخصوص وهي الحياء، الذي كثيرا ما تجده مفقودا في بعض المجتمعات العربية مع التطور الحضاري الذي سادها.

وتقول أيضا:" من صف ذلك الأستاذ سيتخرج فوج القتلة القادمون، إن اليد التي تعاقب لأنها كتبت كلمة أحبك إنما يد أعدت لإطلاق الرصاص.

لاحقا، قال لها مصطفى بجدية كاذبة:

- إني أفكر في الهجرة إلى أمريكا.

سألته مندهشة :

أمريكا..لماذا أمريكا؟ ...هنا يموت المرء ولا يسمعها حتى من أمه برغم أن كل شيء يشي بحبها له، لكنها عندما تنطق تقول عكس ذلك"[30]، وهنا طرح آخر للكاتبة طرح تاريخي، تبين للقارئ من خلاله ما آلت إليه الجزائر في العشرية السوداء، من جبروت الإرهابيين، حتى أصبحت كلمة الحب لا دلالة لها وإنما انزاحت عن الدلالة

الأصلية، وهنا أيضا تبرير لسبب هجرة الأدمغة والكثير من الشعب الجزائري آنذاك خوفا من القتل وبحثا عن الحب والسلام.

وقد زاوجت بين اللغة الفصحى واللهجة الجزائرية وكذا اللبنانية في قولها في إحدى المقاطع الروائية:" كل الناس في الجزائر شافوها"[31]، حيث استعملت مفردة" شافوها" والتي نقصد بها في العرف العامي الجزائري "أبصروها"، وهذا الاستعمال والمزيج بيان لرغبة الكاتبة في تشديق المتلقي بمتعة النص ولذته، وفي مقام آخر تقول:" نصيرة تسلم عليك بزاف..طلبت مني تلفونك واش نعطيهولها؟ بالمناسبة.. قالت لي باللي مصطفى تزوج من أستاذة جات جديدة للمدرسة وطلب نقلهم للتدريسفي باتنة"[32]، وفي مقطوعة أخرى" أتوقع أن تحدث أشياء..لابد أن تلحق بك سيارة إسعاف لجمع الجرحى من الطرقات وأنت تمشين هكذا..على صباح ربي! فالكاتبة هنا تصور لنا الواقع الذي كانت تعيشه الجزائر أيام العشرية السوداء، وذلك الهلع والخوف الذي كان يتنابها ولازالت أثاره عند التفكير أو تذكر أي ذكرى من الذكريات، وهذا التعبير يعكس ثقافة الكاتبة من جهة فنية ومعرفته طريقة استعمال الازدواجية في مواضع مختلفة من النص الروائي وبالتالي تعكس ثقافة المجتمع الجزائري ككل الذي في حديثه يمزج بين الفصحى والعامية، في حين قد تعكس تللك الازدواجية وخاصة استعمال العامية أو اللسان الدارج نظرا لثراء المعنى والفكرة المطروحة التي تود الكاتبة إيصالها بطريقة مشوقة فلم تجد لها مقابلا بالعربية الرسمية الفصحى دونتها بلفظها العامي ليفهم مدلولها القوي.

فذلك التهجين أو الكلام العامي الممزوج بالفصحى كثيرا ما يكون لديه وقع خاص لدى المرسل ألا وهو الكاتب والمتلقي أو القارئ في نفس الوقت.

أما في كلامها باللهجة اللبنانية في قولها:" الحب تعتير..لا شهيق ولا زفي، جيب مرا بتحبك لنفسك مو لجيبك..وتنطرك مو تنطر لتبرم ظهرك، ع أيامنا الحب عملية نصب عاطفي..مرا بتتجمل لك ..تتغنج..تتبرج..لتوقعك. وبس تجن لتتزوجها ما تعود تعرفها. مافي حب، في صفقة حب..يازلمه بشرفك تعرف مرا بتقبل تتجوز واحد معتر لأنا بتحبو؟"[33]، وذلك دلالة على انفتاح الكاتبة على لهجات الدول العربية الأخرى، واستطاعتها على اكتساب معجم لغوي عامي للعديد من الدول العربية، وهي مسايرة بذلك لشخصيات الرواية ومعارفها، فكل شخصية إلا وتقمصت ثقافتها ولهجتها أو لغتها.

أما فيما يخص الأشكال الأخرى التي نستنبطها من الرواية وهي الثنائية اللغوية حيث نجد أن الكاتبة اعتمدت اللغات الأجنبية من فرنسية وانجليزية، ومثال ذلك قولها: " Je suis venu te dire que le m'en vais"[34]، وهنا نجد الكاتبة استخدمت اللغة الفرنسية في هذه المقطوعة النصية الروائية، وذلك بهدف التعرّف على الآخر والوصول إلى معارفه، وأكثر دليل على التنوع الثقافي واللّغوي للكاتبة، كما أن ذلك قد يكون هروبا من التعبير الذي لا يجوز لها أن تعبر به عن فكرة ما باللغة العربية تفاديا لمشاكل سياسية أو اجتماعية، وقد لا تجد له مقابلا في العربية، قد يكون مدلوله باللغات الأجنبية أبلغ من إيصاله باللغة العربية التي تتميز بثراء وفير للمعاني، فلا يفهم المقصود في النص الروائي، وفي ذلك استدعاء لملكات لغوية وأكثر من لغوية لأحلام مستغانمي.

وفي مقام آخر تقول:" Ballade pour Adeline "[35]، قد يكون استخدامها لهذه الجملة المعبرة عن المقطوعة السمفونية المشهورة للعازف الفرنسي ريتشارد بلغتها الأصلية أبلغ للمتلقي وأسهل للاستيعاب من ترجمتها للعربية.

وعليه فإن الكتابة في إطار الحداثة السردية اشتغلت على التجديد في عناصر التشكيل السردي وكذا النمط المتداخل للكتابة، وذلك بهدف استنطاق مكانز النص الروائي وفك شفراته، وانفتاح الروائي على جميع الأصعدة التي ترتبط بالحراك السردي، ليجعل نصه ثريا وخصبا في قالب تشكيلي جمالي بالغ الدقة والحيوية والتصوير من خلال ذلك التعالق اللغوي.

هوامش البحث:

[1] - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، المجلد1، 1990، ص3.

[2] - باديس لهويمل، نور الهدى حسني، مظاهر التعدد اللغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص103.

[3] - المرجع السابق، الصفحة نفسها .

[4] - صالح بلعيد، في الأمن اللغوي ، دار هومة ،الجزائر ، د.ط، 2010م ، ص 244.

[5] - سورة الروم ،الآية 21.

[6] - سيدي محمد بلقاسم، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع 8، ص 140.

[7] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

[8] - محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1998م، ص 17-18.

[9] - محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى اللغة ، مكتبة الآداب للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2011م، ص212.

[10] - سيدي محمد بلقاسم، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع 8، جامعة تلمسان ،2017م، ص 139.

[11] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

[12] - ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، ص 53.

[13] - المجلس الأعلى للغة العربية، التعدد اللساني واللغة، جامعة الجزائر، 2014،ع 1، ص 53.

[14] - عبد الرحمان الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، دار هومة للطباعة والنشر، د.ط، ص 287.

[15] - محمد فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة (المجالات والاتجاهات)، دار قباء الحديثة للطباعة النشر والتوزيع، ط1، 2007م ، ص 16.

[16] - رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، الخانجي ، القاهرة ، د.ط، 1997م، ص 126- 127.

[17] - لويس جان كالفي ، علم الاجتماع ، تر محمد يحياتن ،دار القصبة للنشر ،د.ط، 1998م ، ص 12.

[18] - عبد شريط ، نظرية حول سياسة التعليم والتعريب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط ، 1998م ، ص 12.

[19] - ذهبية بورويس، اللغة العربية بين التعدد اللغوي و التفعيل المعرفي، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة ، الجزائر، ص1.

[20] - سعيد أحمد بيومي، أم اللغات، ط1، مكتبة الآداب، 1423هـ/2002م .ص 5.

[21] - سورة طه، الآية 25، 26،27.

[22] - ملوك خديجة، التعدد اللغوي وأثره على تعليمية اللغة العربية في الجزائر، مذكرة ماستر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016م، ص 12.

[23] - إبراهيم كايد، العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، د.ط ، ص 54.

[24] - زهير غازي، العربية والأمن اللغوي، مؤسسة الوراق، 2000 ، ص 42.

[25] - المرجع نفسه، ص 43.

[26] - رمضان عبد التواب ، بحوث ومقالات في اللغة، ، ط3، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1995م. ص 173.

[27] - أحلام مستغانمي، الأسود يليق بك، نوفل، دمغة الناشر هاشيت أنطوان، بيروت، لبنان، 2012، ص14

[28] - ينظر الخطة العامة للتعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس2011، ص13.

[29]- أحلام مستغانمي، الأسود يليق بك، ص33.
[30]- أحلام مستغانمي، الأسود يليق بك، ص37.
[31]- المصدر السابق، ص24.
[32]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[33]- أحلام مستغانمي، الأسود يليق بك، ص34.
[34]- أحلام مستغانمي، الأسود يليق بك، ص27.
[35]- المصدر نفسه، ص31.

قائمة المصادر:

- سورة الروم .
- سورة طه .

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم كايد، العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، د.ط، ص 54.
2. أحلام مستغانمي، الأسود يليق بك، نوفل، دمغة الناشر هاشيت أنطوان، بيروت، لبنان، 2012.
3. باديس لهويمل، نور الهدى حسني، مظاهر التعدد اللغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة.
4. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، المجلد1، 1990.
5. ذهبية بورويس، اللغة العربية بين التعدد اللغوي والتفعيل المعرفي، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر.
6. رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، ط3، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1995م.
7. رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، الخانجي، القاهرة، د.ط، 1997م.
8. زهير غازي، العربية والأمن اللغوي، مؤسسة الوراق، 2000 .
9. سعيد أحمد بيومي، أم اللغات، ط1، مكتبة الآداب، 1423ه/2002م .
10. سمر روحي الفيصل، المشكلة اللغوية العربية ، ط1 ،1992 .
11. سيدي محمد بلقاسم، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع 8، جامعة تلمسان ،2017م.
12. صالح بلعيد، في الأمن اللغوي ، دار هومة ،الجزائر ، د.ط، 2010م.
13. عبد الرحمان الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، دار هومة للطباعة والنشر، د.ط.
14. عبد شريط، نظرية حول سياسة التعليم والتعريب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط ، 1998م.
15. لويس جان كالفي ، علم الاجتماع، تر محمد يحياتن ،دار القصبة للنشر ،د.ط، 1998م .
16. المجلس الأعلى للغة العربية، التعدد اللساني واللغة، جامعة الجزائر، 2014،ع 1.
17. محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى اللغة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2011م.

18. محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1998م.
19. محمد فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة (المجالات والاتجاهات)، دار قباء الحديثة للطباعة النشر والتوزيع، ط1، 2007م.
20. ملوك خديجة، التعدد اللغوي وأثره على تعليمية اللغة العربية في الجزائر، مذكرة ماستر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016م.
21. ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية.
22. الخطة العامة للتعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس2011.